العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي [160-296هـ/777-909م]

د. خـــالد بلعربي
قسم التاريخ - كلية الآداب والعوم الإنسانية
جامعة الجيلالي اليابس- سيدي بلعباس
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
belarbi.tlemcen@yahoo.fr

مقدمة

إنّ غنى وتنوع التراث المعرفي والتاريخي للغرب الإسلامي فتح المجال واسعاً للبحث التاريخي المعاصر في جميع الجوانب الحضارية ، ومن أبرز مجالاتها الدراسات التاريخية الاجتماعية ، الثقافية والاقتصادية.هذه الدراسات المعاصرة أعطت للبحث التاريخي عمقاً فكرياً في مجال التفسير التاريخي ، شمل الجوانب الثقافية ، الاجتماعية والاقتصادية ، بدلاً من حصره في المجال السياسي.

في هذا الإطار ، وفقاً لهذا التوجه يندرج البحث الذي نرمي إلى معالجته تحت عنوان: "العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي" في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.يهدف البحث إلى إيجاد التفسير لهذا التوجه الاقتصادي للدولة الرستمية نحو الجنوب ، عبر الصحراء الفقيرة و القاسية ، هذا التوجه الذي يشمل عاملاً أساسياً في تطور المغرب الإسلامي لمدة قرون ، يؤكد الدور الحضاري والاقتصادي للنشاط التجاري الرستمي ، الذي أهمله مؤرخو الإسلام الأوائل مثل الطبري وابن كثير وحتى ابن خلدون إمّا جهلا أو تجاهلا ، و أنكر فعاليته المستشرقون.

التعريف بالدولة الرستمية

(١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٧-٩٠٩م)

في النصف الأول من القرن الثاني توالت ثورات الخوارج في المغرب الإسلامي مما أعطى الاباضية فرصة تأسيس الدولة الرستمية ، والتي ارتبط أسمها بمؤسسها عبد الرحمن بن رستم – ذو الأصول الفارسية – وكذا بتأسيس مدينة " تاهرت " في المغرب الأوسط.[١]

هذه المدينة التي ستكون النواة الأساسية في بناء الدولة الرستمية بفضل ما شهدته من تطور اقتصادي وحضاري في جميع المجالات ، الزراعية ، الصناعية و التجارية. كما أن تركيبتها الاجتماعية – رغم اعتمادها على العنصر البربري – تنوعت بفضل ما عرف عن حكمها من عدل ، وعن حياتها من ازدهار اقتصادي وثقافي ، وفي هذا المجال يقول ابن الصغير المالكي: "ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلاّ استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامة و عدلته ...".[٢]

انقاد الخوارج في المغرب الأوسط وجنوب افريقية "القيروان" وحتى جبل نفوسة بطرابلس لسلطة الدولة الرستمية التي توسعت جغرافياً وسياسياً ، حتى غدت حدودها من جبل نفوسة شرقا حتى تلمسان غربا ، ومن سواحل البحر المتوسط في المغرب الأوسط شمالاً حتى بلاد السودان جنوباً. إن هذا الامتداد الجغرافي أعطى الدولة الرسمية أهمية إستراتيجية في مجال العلاقات التجارية بين المشرق الإسلامي ، والغرب الإسلامي ، وبين العالم الإسلامي و بلاد السودان ، خاصةً الغربي منه.

وفي هذا الإطار يقول ابن الصغير: "... استعملت السبل إلى بلد السودان ، و إلى جميع البلدان من مشرق و مغرب بالتجارة و ضروب الأمتعة ... ".[٣] ومن أبرز المدن الرستمية التي انطلقت منها قوافل التجارة باتجاه السودان الغربي ، مدينة تاهرت العاصمة ، ومدينة "ورجلان" في الجنوب الشرقي للمغرب الأوسط.[٤]

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
خالد بلعربي ، العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي (٢٩٦ – ١٦٠هـ / ٧٧٧ – ٩٠٩م).- دورية كان التاريخية.- العدد الثامن ؛ يونيو ٢٠١٠.
ص ٦٨ - ٧٢ . (www.historicalkan.co.nr)

بلاد السودان الغربي

يشمل السودان الغربي المنطقة الممتدة بين المحيط الأطلسي غرباً، و بحيرة تشاد شرقا، ومن الصحراء الكبرى شمالاً حتى خليج غانا الكبير جنوباً، على حدود ١٠° شمالاً. ويعرّفها القزويني في كتابه "آثار البلاد" ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى المحيط".[٥]

في بلاد السودان ظهرت إمارات ودول مختلفة في القرن الثالث التاسع الميلادي والرابع الهجري، لعل أبرزها وأهمها من الناحية السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية دولتين هما:

- مملكة غانة: امتد نفوذها في القسم الغربي من السودان أي شرقي السنغال الحالي، وغربي حوض بحيرة تشاد، ذكر المسعودي أن تحت يد ملك غانة عدة ملوك و ممالك كلها فيها الذهب"،[٦] بلغت غانة أوج قوتها في أواخر القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد ومن أبرز ملوكها " بنتجوي دكوري (Bentigri Doukoure) "حكم حوالي ١٧٤هـ/٧٩٠م، خلفه تكلان، ثم تلوتان أو بولاتان الذي حكم من سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧م.[٧]

يذكر يحي بوعزيز أن أصلهم من قبيلة لمتونة الصنهاجية التي ساهمت في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، وهم أسلاف المرابطين من فروع قبيلة صنهاجة الصحراء مثل: مسوفة، لمطة، مداسة وتريكة.[٨]

- مملكة وارام ونخلة: ذكر لويكي (T. Lewicki) في كتابه " Traits d'histoire du commerce" دولة نخلة تقع على الساحل الجنوبي لبحيرة تشاد. لكن هذه الممالك الكبرى غانة ونخلة تفككت في القرن الثالث للهجرة التاسع الميلادي مما فتح المجال لظهور ممالك جديدة.

اهتم الرستميون بتوتيق صلاتهم التجارية بها، وجابتها قوافلهم، منها: مملكة أوداغشت، والتي عاصرت الدولة الرسمية، و لعبت دوراً أساسياً في تجارتها. ثم مملكة "كوكو أو جوجو"، مملكة غاو Gao، هذه الأخيرة التي كانت تسيطر على طرق التجارة الصحراوية التي تربط السودان الغربي بالمغرب الإسلامي.[٩]

إن ضبط حدود دول السودان في القرن الثالث للهجرة، التاسع للميلاد ليس بالأمر الممكن، لقلة المعلومات في المصادر وأحيانا تضاربها، واختلاف التسميات من مؤرخ إلى آخر، خاصةً عند الفزازي واليعقوبي و المسعودي.[١٠] لكن هذا لا ينفي وجود حياة سياسية في السودان، وإن تراوحت بين النظام والفوضى، تفاعلت معها التجارة الرستمية بحذر من أجل حماية مصالحها التجارية وتوسيعها.

طرق التجارة إلى السودان

أ- الطريق عبر سجلماسة:

في أقصى الجنوب الغربي من المغرب الأقصى، وضع الخوارج الصفرية الأساس لمدينة "سجلماسة" سنة ١٤٠هـ يتزعمهم عيسى بن يزيد الأسود المكناسي السفري. هذه المدينة التي ستكون النواة الأولى في بناء دولة بني مدرار و عاصمتها سجلماسة.[١١]

سجلماسة هذه المدينة التاريخية التي سيكون لها دوراً فعالاً في تاريخ وحضارة بلاد الغرب الإسلامي بأكمله، لعبت دوراً أساسياً في توسيع شبكة العلاقات التجارية للدولة الرستمية خاصةً باتجاه السودان الغربي، ومن العوامل التي ساعدت على تقوية الروابط بينهما، التقارب المذهبي بين الاباضية والصفرية (خوارج).

تردد ذكر الطريق التجاري الرابط بين تاهرت وسجلماسة في العديد من المصادر القديمة، حيث أشار اليعقوبي في كتابة "تاريخ البلدان" إلى وجود هذا المسلك الذي يربط تاهرت لسجلماسة حيث قال أنه: "من خرج من تاهرت، سلك الطريق بين القبلة والغرب، سار إلى مدينة يقال لها أوزكا" ومنها غرباً إلى سجلماسة.[١٢] ويقدر اليعقوبي المسافر بين تاهرت و سجلماسة بحوالي عشرة مراحل. في حين يقدرها الاصطخري في كتابه "المسالك و الممالك" فيقول: "من تاهرت إلى سجلماسة نحو خمسين مرحلة"، وأحيانا يقدرها بمسير خمسة وعشرون يوماً، كما ذكر ذلك T. Lewiki في كتابه:

L'état nord-africaine de Tahert et ses relations avec le Soudan VIII au XI siècle ويذكر البكري أنه "على مدينة وجدة طريق المارة و الصادرة من بلاد المشرقة إلى سجلماسة، وغيرها من بلاد المغرب.[١٣]

لاشك أن هذه المارة تعبر تاهرت لأهميتها الإستراتجية، كما أن اختلاف تقدير المسافة بين تاهرت وسجلماسة يدل على تعدد المسالك، وتعدد المسالك بدورة يدل على ازدهار التجارة، كثرة القوافل، وتعدد أغراضها. كما يدل تعدد المسالك واختلاف المسافات على أن الرحلات التجارية كانت متعددة الأهداف والمقاصد، وأن القافلة كانت تجوب مناطق مختلفة، تبيع و تشتري من منطقة إلى أخرى حتى تصل من تاهرت إلى سجلماسة، حيث تبدأ الرحلة الكبرى باتجاه بلاد السودان الغربي، بلاد الذهب والدقيق الأسود غايتها ومصدر غناها.[١٤]

استخدمت سجلماسة كنقطة انطلاق جديدة نحو السودان الغربي بالنسبة لتجار تاهرت الرستمية في القرن الثالث للهجرة،[١٥] وكذا باقي تجار المغرب الإسلامي وحتى المشرق — رغم اختلاف مذاهبهم وأحيانا في ديانتهم حيث كان من بينهم اليهود، هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على التسامح الديني والمذهبي الذي ساد في إطار دولة بني مدرار سجلماسة وحتى الدولة الرستمية بتاهرت.[١٦]

من سجلماسة كانت تنطلق القوافل من جديد باتجاه بلاد السودان، سالكة طرق مختلفة أبرزها الطريق الساحلي وأحيانا طرق داخلية، حيث عبرت القوافل الصحراء بدون توقف خاصة خلال القرن الثالث للهجرة التاسع الميلادي، وأكدت الأبحاث الأثرية هذا الاتصال، حيث وجدت بقايا أواني رستمية في بلاد السودان الغربي.

ذكرت المسالك إلى السودان من طرف اليعقوبي (ق ٣هـ)، وابن حوقل (ق ٤هـ)، ثم صاحب "الاستبصار" وغيرهم، كما وردت عدة

أسماء لمدن هامة في السودان ذات أهمية تجارية منها: أودغشت ، ثم تاغازا Tagaza مصدر معدن الملح ،[١٧] وكذا أغمات. كما وردت في المصادر أسماء لشعوب وقبائل مرّت بها طرق التجارة عبر السودان منها "أنبية" ومنها مسوفة ، جدالة و لمتونة وهي فروع من صنهاجة الصحراء.

ب- الطريق عبر ورجلان

ورد ذكر هذا الطريق عند ابن حوقل (ق ٤هـ) في كتابه "صورة الأرض" ، وكذا الإدريسي في كتابه "صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس" ، ويصنف الإدريسي ورجلان "بأنها مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة و بلاد نقاوة".[١٨]

من ورجلان جنوب الدولة الرستمية وإحدى أهم مدنها الصحراوية كانت تنطلق القوافل محملة بالسلع المختلفة إلى تادمكة مدورا بمنطقة أدرار – أفوقاس ، وهذا يعني مرور هذا المسلك بمنطقة الهقار ، نسبة إلى قبيلة هوارة التي ذكرها ابن خلدون ، بأن بعض هذه القبائل قطعت الرمال إلى بلاد القفر وجاوزت لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان اتجاه افريقية ويعرفون بنسبهم هكارة".

لقد كانت "تاد مكة" مركزا تجاريا هاما ، شمال شرق منحى نهر النيجر ، ذكر البكري أن المسافة بينها وبين ورجلان خمسين يوماً (خمسون رحلة) ، ولا زالت أثارها شمال غرب كيدال Kidal أما المسافة بين تادمكة ومدينة كوكو فهي تسع مراحل حسب البكري.[١٩]

وتذكر المصادر أن ملك كوكو "كافر" في حين أن سكان غانة في الغرب كانوا مسلمين ، وكذا سكان "الكائم" شرقا ، ذكر ذلك أبو الفداء في كتابه مختصر تاريخ البشر".[٢٠] وذكر ديفيز J. Devisse أن طريق ورقلة (ورجلان) – تادمكة – جاو ، من أهم الطرق التي وصلت بين الشمال الإفريقي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي و بلاد السودان الغربي ، حيث تزدهر تجارة الملح والذهب والعبيد ، وفي القرن الثاني عشر ميلادي/ السادس الهجري كتب الإدريسي يقول: "سكنت ورجلان عائلات غنية و تجار أغنياء جداً ، الذين كانوا في تجارهم يجوبون بلاد الزنوج ، وكانوا يتوغلون إلى غانة وإلى نفارة wangara " يستخرجون منها الذهب الذي يضرب في ورجلان وفي زاوية هذه المدينة ، فهم على العموم من فرقتي الوهابين والإباضيين".[٢١]

ومن بين التجار الذين ورد ذكرهم في هذه الفترة أبا موسى الويسياني" الإباضي ، الذي يدأر رحلته من الزاب إلى غانة ، ثم إلى مدينة غيارة حوالي النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري ، حيث مناجم الذهب ، هذا المعدن النفيس الذي يعود له الفضل في توسيع دائرة التجارة الصحراوية و حيويتها.[٢٢] هذه القصة وغيرها تدل على أن بلاد كوكو وحتى غانة كانت بدورها المعبر للوصول إلى مناجم الذهب جنوباً ، لكن هذا لا يعني أن هذه البلاد (كوكو وغانة) لم تكن تربطها بالدولة الرستمية علاقات تجارية هامة ، فقد كانت مجالاً واسعاً لتبادل السلع ومنها الملح والرقيق وبعض المنتوجات الصناعية.

Location of Sijilmasa in Morocco

طبيعة المبادلات التجارية

أ- الصادرات:

ذكرنا أن طرق التجارة الرابطة بين تاهرت وورجلان الرستميتين كانت تمر بمناطق مختلفة قبل وصولها إلى السودان وحتى داخله ، وبالتالي كانت تفرغ حمولتها كلما توفرت لها الأرباح المناسبة ، أي أن تجارتها كانت حركة اقتصادية ، تعددت صادراتها ومشترياتها وتنوعت حسب الحاجات الأساسية لكل منطقة. حيث كان التاجر يخرج بسلع معينة من بلاده فيبيع ويشتري باستمرار حتى يصل إلى الهدف الذي يقصده وهو مناجم الذهب ، والرقيق وطبعا الربح. هذا ما يؤكد أنّ تجار المغرب الإسلامي لم يكونوا مجرد وسطاء في حركة تجارية عالمية ، بل يؤكد أنهم ما رسوا نشاطا اقتصاديا مركبا و منتجا.[٢٣]

وأهم السلع التي حملها تجار الدولة الرستمية إلى بلاد السودان الغربي: الملح هذا المعدن النادر في بلاد السودان الغربي والضروري في حياتهم اليومية ، حيث كان يستخدم في تجفيف الأسماك والحيتان وهي غاية غذائهم حيث يقول البكري أن "تجارة أهل بلد "كوكو" بالمدح وهو نقدهم".[٢٤]

كان الملح يشترى من جنوب الصحراء ، في منطقة تسمى "تاغازا" وكان ثمنه مرتفعاً. يحمل على الجمال على شكل ألواح من الملح - (قطع مستوية) – ذكر أبو حامد الغرناطي صاحب كتاب: "تحفة الألباب" أنه يتم تبادله بوزن أو وزنين من الذهب أو أكثر حسب حاجة السوق. وإذا علمنا أن حمل الجمل يتراوح ما بين (١٢٥) إلى (١٥٠) كلغ فإن تبادله كان يتم بمقدار من الذهب يتراوح بين (٧٦٠) إلى (١١٤٠) غرام من التبر "Poudre d'or" وإذا علمنا أن مقدار الدينار الذهبي يعادل ٣,٨ غرام ذهب تأكدنا من القيمة المرتفعة للملح. ويذكر بن حوقل أن ثمن حمل الملح: "الملح في داخل بلد السودان وأقاصية ما بين (٢٠٠) و (٣٠٠) دينار" لكن سعره انخفض فيما بعد.[٢٥]

من الواضح أن الملح لم يكن سلعة رستمية محضة بل كان يشتري من أطراف الصحراء في بلاد السودان ، وهذا يدل على أن تجار الدولة الرستمية قد حملوا من بلادهم سلع أخرى تبادلوه في منطقة "تاغازا" بالملح ، في هذا الصدد يذكر السيد عبد العزيز سالم ، أن تجار الدولة الرستمية كانوا يخرجون من ورجلان "يحملون المنسوجات الصوفية والقطنية ، والكتانية ، وأواني الزجاج والفخار والخزف ذي البريق المعدني ... ".[٢٦]

إنها منتوجات صناعية دلّت على التطور الحضاري في الغرب الإسلامي خاصة داخل الدولة الرستمية. إلى جانب المنتوجات الصناعية وجدت المنتوجات الزراعية منها خشب الصنوبر ذكره الحموي ، الحنطة (احتمال).[٢٧] وبعض الأنواع من التمور ذات الصلاحية الطويلة ، وللملاحظة فإن الصحراء الجزائرية " أدرار المنيعة" توجد بها بعض أنواع التمور التي تصدر نحو بلاد السودان الغربي حتى اليوم ، ومن بين أنواعها تمر يسمى "تاغاز" بنفس الاسم الذي حملته مدينة الملح المصدر للسودان الغربي. ويذكر "صاحب الاستبصار" أهم الصادرات لبلاد السودان فيقول "الملح ، الودع ، النحاس المسيول والتاكوت وهو أنفق شيء عندهم للدبغ".

كما يورد الإدريسي صادرت المغرب الإسلامي ويذكر من ليثها ، ثياب الصوف ، العمائم ، المآزر وصنوف النظم من الزجاج.[٢٨] لكن تبقى أهم سلعة حملها التجار المغاربة والرستميون إلى بلاد السودان

هي الملح ، الذي استخدم ، لما سبق الذكر في تجفيف السمك والحيتان في نهر السنغال والنيجر.[٢٩]

ب- الواردات:

كانت الدولة الرستمية وغيرها من دول الغرب الإسلامي تستورد من السودان الغربي سلعاً ، مختلفة ، لكن يبدو أن تجارة الذهب والعبيد كانت من الأساس في توجه الشمال الإسلامي بتجارته نحو الصحراء رغم مصاعب المسافة وطولها ومخاطرها. وقد دلّت الشواهد التاريخية على أن تجارة الذهب أي جلبه من السودان تعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة أي الثامن الميلادي ، قبل أن يرد ذكرها لدى الجغرافيين في القرن الثالث للهجرة.[٣٠]

إن وصول الذهب إلى عاصمة الرستميين في النصف الثاني من القرن ٣هـ / ٩م ، ربما يعطينا التفسير المنطقي والمعقول للتطور الذي حدث في تاهرت في مدة وجيزة ، والذي ذكره ابن الصغير المالكي حيث قال في ذكر قصة وفد البصرة إلى تاهرت في الرحلة الثانية: "فوجدوا الأمور قد تبدلت و أحوال المدينة والأشياء ، قد حالت ، وذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت وإلى بساتين قد غرست وإلى أرجاء قد نصبت وإلى خيول قد ركبت وإلى حفدة قد اتخذت السور والعبيد والخدام ...".[٣١]

وما يؤكده هو رد عبد الرحمن بن رستم للأموال لإخوانه بالبصرة و بعد استشارة أعيان دولته.[٣٢] ولا شكّ أن تجارة مثل هذه — ذات أرباح خيالية — كان من الواجب أن تحاط بالسّر والكتمان ، لمدة من الزمن وهذا ما يفسر مرة ثانية عدم ذكر هذه التجارة من طرف الجغرافيين العرب ، إما لأنهم تجار قد أطلعوا عليها أو أنهم لم يطلعوا عليها أصلاً.

اتسعت تجارة الذهب القادم عبر الصحراء بواسطة القوافل من بلاد السودان الغربي في القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي ، والتي تصل المغرب الإسلامي عن طريق سجلماسة وورجلان ثم تاهرت وباقي أنحاء العالم.[٣٣] لا شك في أن هذا الازدهار التجاري والأرباح التي حققها تجار المغرب الإسلامي خاصة الرستميين منهم هي عامل آخر لتفسير الازدهار الاقتصادي والحضاري الذي شهده المغرب الإسلامي برمته في القرن الثالث والرابع للهجرة ، التاسع والعاشر للميلاد.[٣٤]

أما أسلوب المعاملة فقد ذكر ياقوت الحموي في معجمه أن التبادل كان يتم بالسوق الصامته أو "المقايضة الخرساء"[٣٥] لكن هذا لا ينفي وجود مترجمين ، وكذا تعلم التجار لغة شعوب السودان الغربي. سيطر التجار في المغرب الإسلامي على تجارة الذهب السوداني لمدة زمنية طويلة ، في زمن اعتبر فيه الذهب الينبوع الأساسي للمعادن النفيسة. وقد أكد "ف-بردوال F.Braudel" "أهمية الذهب في تاريخ شمال إفريقيا بصفة عامة" في مؤلفه "الذهب الإسلامي من القرن ٧م إلى القرن ١١م" حوليات ١٩٤٧.[٣٦] إلى جانب تجارة الذهب ، شكلت تجارة العبيد سلعة هامة ذكرها اليعقوبي عند حديثه عن قبيلة "زويلة" ، بأن تجارها كانوا يجلبون العبيد من شمال السودان ، أكد هذا القول ما ذكره الاصطخري بأن: "هؤلاء الخدم السود أكثرهم يقع إلى زويلة " ، وهذا ما أشار إليه الإدريسي وصاحب الاستبصار.[٣٧]

ورد عن صاحب الاستبصار أن السودانيات الطبخات كنّ يبعن بحوالي ١٠٠ دينار ، وأزيد. وتذكر الدكتورة فاطمة بلهواري في أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: "النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي" خلال ق ٤هـ /١٠م أن بلاد "كانم" من السودان تعتبر المصدر الرئيسي في تزويد هذا النوع من التجارة أي تجارة العبيد. وأهم فئاتهم: التكرور السنغاليون ، الصنوكي الغانيون والصونغاي من جو أو الصاو ، نول لمطة من كانم.[٣٨] كان العبيد بعد تدريبهم وتعليمهم يستخدمون في البيوت والمزارع ، ويصدّرون إلى الشرق الإسلامي والأندلس. هكذا شكل العبيد قوة منتجة وسلعة هامة في تجارة الرستميين وغيرهم من دول المغرب الإسلامي ، تجارة موازية لتجارة الذهب.

إلى جانب الذهب والعبيد ، كانت هناك سلع أخرى ترد إلى الرستميين من السودان الغربي وهي ذات فوائد مالية هامة منها "الدرق اللمطية" وهي جلد يلبسه المحارب تقية مخاطر الجروح والسهام ، تصنع من جلد حيوان اللمط (تراس) وهي خفيفة لينة لا ينفذ إليها النشاب ولا يؤثر فيها السيف بيض كالقراطيس ، ذكر القزويني أن سعر الواحدة منها تلاثون دينارا. ويكشف لنا الدرجيني في كتابه "طبقات المشايخ" أن أفلح بن عبد الوهاب كان يستخدمها في حربه ضد يزيد بن فندين.[٣٩]

كما كان تجار تاهرت يجلبون جلود النمور ، جلد حيوان الظبي يضع منه المجن ، الصمغ ، إلى جانب العاج ، ريش النعام ، كحل العين ، وكذا "الذبل" من ظهور السلاحف تصنع منها الأمشاط كالقرن. وقد اشتغل بالتجارة الأغنياء والمرفهون ، وتحملوا المشتاق لأن الأرباح كانت عظيمة.

خاتمة

لا شك أن قيام دول مستقلة خارجية مثل الدولة الرستمية ودولة بن مدرار في سجلماسة ، وكذا دولة الأدارسة الشيعية الزيدية في فاس ، في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، يمثل بداية تمزق وحدة الدولة الإسلامية أي الخلافة ، لكن هذا لا يمنع من إبراز دورها الحضاري الإسلامي الفعّال ، خاصةً في تطور الغرب الإسلامي ونشر الإسلام في بلاد السودان خاصة الغربي منه.

إن ظهور الدولة الرستمية في زمن متقدم وموقع جغرافي — بالنسبة للاتصال — بين المشرق والمغرب الإسلامي منح تاهرت حقّ السبق في توسيع دائرة التجارة الإسلامية ، وفتح لها آفاقاً جديدة وهامة في تطورها كمياً ونوعياً. وفي هذا المجال يبرز دور الدولة الرستمية في تجارة الذهب ، الرقيق الأسود ، والملح ، حيث مثلث هذه الثلاثية وحسب الأهمية مصدر دعم لاقتصاد الغرب الإسلامي ، وحتى الشرق منه.

لم يكن تجار المغرب الإسلامي وسطاء فقط — كما يدعي المستشرقون — بل كانوا الأساس في قيام حركة اقتصادية منتجة متنوعة المداخيل ، ساهمت في تطور الغرب الإسلامي وحتى بلاد السودان ونشر الإسلام وترسيخ ثقافته ، وما حركة المرابطين إلاّ دليلا على ذلك. لكن السياسة كثيرا ما أفسدت ما بناه رجال المال والأعمال.

الهوامش

١- بوعزيز ، يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج١ ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٨٤ ، ص ١٩.
٢- ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق و تعليق ، محمد ناصر ، ابراهيم بحاز ، طبقة دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ١٩٨٦ ، ص ٣٦.
٣- نفسه ، ص ٣٦.
٤- جودت عبد الكريم ، يوسف ، العلاقات التجارية للدولة الرستمية ، طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٤ ، ص ٢٦٧.
٥- نفسه ، ص ٢٣٣.
٦- نفسه ، ص ٢٣٧.
٧- بوعزيز ، يحي ، المرجع السابق ، ص ١٧٤.
٨- جودت ، عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٣.
٩- نفسه ، ص ٢٤٢.
١٠- عبد العزيز ، سالم ، السيد ، تاريخ المغرب الكبير ، العصر الإسلامي ، ج٢ ، مطبعة الدار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ٥٧٣.
١١- جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤.
١٢- نفسه ، ص ٢٢٥.
١٣- اندري ، برنيان وآخرون ، الجزائر بين الماضي والحاضر ، ترجمة اسطنبولي رابح ، منصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٨٤.
١٤- جودت ، عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٣١.
١٥- اندري ، برنيان و آخرون ، المرجع السابق ، ص ٩٦.
١٦- جودت ، عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦.
١٧- نفسه ، ص ٢٦٦.
١٨- نفسه ، ص ٢٦٧.
١٩- نفسه ، ص ٢٦٧.
٢٠- برنيان ، اندري و آخرون ، المرجع السابق ، ص ٩٦.
٢١- الحريري ، محمد بن عيسى ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس ، طبعة دار العلم ، الكويت (دت) ، ص ٢٣٣.
٢٢- فيلالي ، عبد العزيز ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٨٢ ، ص١٠٣.
٢٣- جودت ، عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص ٢٧٣.
٢٤- نفسه ، ص ٢٧٣.
٢٥- عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٥٧٣.
٢٦- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٧٢.
٢٧- نفسه ، ص ٢٧٣.
٢٨- بلهواري ، فاطمة ، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال ق ٤هـ (١٠م) ، أطروحة دكتوراه دولة (مرقونة) ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة وهران ، ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ ، ص ٣٢٣.
٢٩- نفسه ، ص ٣٢٥.
٣٠- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص ٣٨.
٣١- نفسه ، ص ٤٠.
٣٢- بلهواري ، فاطمة ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦.
٣٣- نفسه ، ص ٣٢٦.
٣٤- نفسه ، ص ٣٢٧.
٣٥- اندري ، برينيان و آخرون ، المرجع السابق ، ص ٩٥.
٣٦- جودت ، عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٧٩.
٣٧- بلهواري ، فاطمة ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧.
٣٨- جودت ، عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٨٠.
٣٩- نفسه ، ص ٢٨٠.

حكاية

من قديم الزمن ومنذ فجر التاريخ وكان للحكاية ذلك السحر والتأثير في نفوس وعقول البشر، وحتى وقتنا هذا ما يزال لها تلك الجاذبية، فللحكاية هدف ومعنى، وللحكاية تسلية ومغذى، وإن اختلفت الأزمان والعصور ومهما تغير شكلها على مر الدهور، فالتاريخ ذاته حكاية، فالماضي حكاية والحاضر حكاية وللمستقبل أيضاً حكاية، وحياة كل منا حكاية.. وللحكاية بقية.....

دعوة لزيارة موقع ومنتدى حكاية

http://hekaya.net/vb

الإدارة
المهندس أحمد زيدان
ahmedzidan3@gmail.com